أسباب سقوط

الدَّولَةِ الأُمَوِيَّة



تأليف

د. علي محمّد محمّد الصّلّابي



أسباب سقوط الدولة الأموية

تأليف:

الدكتور علي محمَّد الصَّلابي

مقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ **[آل عمران: 102]**.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ **[النساء: 1]**.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ **[الأحزاب: 70، 71]**.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، أما بعد:

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وفي عبد مناف يلتقي بنو أمية مع بني هاشم، وكان بنو عبد مناف يتمتعون بمركز الزعامة في مكة، لا يناهضهم فيه أحد من بطون قريش.. وجميع قريش تعرف ذلك وتسلم لهم الرياسة.[1]

وكان أمية سيداً من سادات قريش في الجاهلية، وكان هو وعمه هاشم بن عبد مناف متنافسين على الرياسة والشرف.[2]

وتاريخ بني أمية عموماً أصابه الكثير من التشويه، وكان ذلك من قبل خصومهم السياسيين. فرغم ما اعترى الدولة الأموية من أزمات وجرى فيها من صراعات، فالأمويون لهم وعليهم، وقد بينت ذلك في كتابي "الدولة الأموية ... عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار"،

---

[1] النجوم العوالي، العاصمي، (2/3).

[2] موجز التاريخ الإسلامي، أحمد محمود العسيري، ص 135.

فمن أراد التفصيل ومعرفة الحقيقة، فعليه الرجوع إليه، وهو موجود على الموقع الإلكتروني، يمكن تحميل الكتاب:

الجزء الأول:

http://alsallabi.com/books/view/82

الجزء الثاني:

http://alsallabi.com/books/view/139

وهذا الكتيب هو جزء من ذلك الكتاب، وهو متعلق بأسباب السقوط، وقد أفردتها لأهميتها وكثرة النقاش المعاصر حولها، وأهمية توعية أبناء الأمة في قوانين وسنن الله عز وجل في الانهيار وأسبابه وضرورة الأخذ بقوانين الازدهار، وهي مضادة لكل عامل من عوامل السقوط.

وإن أسباب سقوط الدولة الأموية كثيرة، جامعها هو الابتعاد عن تحكيم شرع الله في الأمور السياسية والمالية، وقد وقع الظلم على الأفراد، وتورط بعض الخلفاء في الترف، وحدث بينهم نزاع عظيم أدى

إلى زوالهم، فعندما يغيب شرع الله في أمور الحكم، كما حدث في السنوات الأخيرة من الدولة الأموية؛ يجلب للأفراد والدولة تعاسة وضنكاً في الدنيا، وإن آثار الابتعاد عن شرع الله لتبدو على الحياة في وجهتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وإن الفتن تظل تتوالى على الناس حتى تمس جميع شؤون حياتهم[1]، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[النور: 63]**.

لقد كان في ابتعاد أواخر خلفاء الدولة الأموية عن تحكيم الشرع آثار على أفراد البيت الأموي والدولة، فقد أصيبوا بالقلق والجزع والخوف والشقاق والخلاف، ونزع منهم الأمن وأصبحوا في ضنك من الحياة.

إن هلاك الأمم وسقوط الدول وزوال الحضارات لا يحدث عبثاً في حركة التاريخ، بل نتيجة لممارسة هذا الأسرة الحاكمة أو الدولة أو الأمة، الظلم والانحراف، وبعد أن يعطوا الفرصة الكافية حتى تحق

---

[1] قصائد الزهد، محمد أحمد السيد، مكتبة السوادي، الطبعة الثالثة، 1411هـ - 1991م، ص 55.

عليهم الكلمة، فيدفعوا ثمن انحرافهم وإجرامهم وطغيانهم وفسقهم، والآيات صريحة في ذلك، فالله إذا أنعم على دولة نعمة أياً كانت، فهو لا يسلبها حتى يكفر بها أصحابها[1]، قال تعالى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ **[الأنفال: 53]**.

ومن الملاحظ في دراسة أسباب سقوط الدول والحضارات بأنها لا تسقط بسبب واحد، كما لا تقوم بسبب واحد، بل تتجمع عدة أسباب لقيامها، وعدة أسباب لتدهورها وسقوطها، بعضها يعمل ببطء، بينما يعمل البعض الآخر بسرعة أكبر.. ولا تسقط الدولة ـ أو الحضارة ـ بضربة واحدة، بل تتظافر جملة من العوامل[2]، وهذا ما حدث للدولة الأموية التي زالت من الوجود في المشرق الإسلامي في عام 132 هـ.

---

[1] الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، علي محمد الصَّلاَّبي، مؤسسة أم القرى، طبعة عام 1426هـ - 2005م، ص 520.

[2] التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص 47.

وأهم هذه الأسباب في نظري:

أولاً: الثورة المضادة على حركة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية:

أخذت الدولة الأموية تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها الدولة في الإسلام وهي حراسة الدين، فنهض عمر بن عبد العزيز بهذا المبدأ، ورفع لواءه وأعلى شأنه، وجعله المهيمن والقيِّم على ما سواه، وضبط أمور الدولة بالكتاب والسنة ومنهج الخلفاء الراشدين، فجدّد في نظام الحكم، وأصلح الانحرافات التي وقع فيها الخلفاء الأمويون الذين سبقوه، فجدّد معالم الشورى، وأقام العدل، ورد المظالم، وبدأ بنفسه وأهل بيته ونزع المظالم من بني أمية وردّ الحقوق لأصحابها، وعزل جميع الولاة والحكام الظالمين، ورفع المظالم عن الموالي، وأهل الذمة، وطبق مبدأ المساواة بين الرعية، وفتح مجال الحريات، الفكرية والعقدية، والسياسية، والشخصية، والتجارة والكسب، واستوعب قوى المعارضة المختلفة بالحوار والنقاش.

وجدّد وظيفة الدولة الدعوية من خلال مشروعه الدعوي الحضاري

للأمم، وحققت سياسته المنضبطة بالكتاب والسنة وتحكيم الشرع في صغائر الأمور وكبارها نتائج وثمار كثيرة؛ منها: التمكين للدولة وتجديد حيويتها والأمن والاستقرار لها، والنصر والفتح على يديها، والعز والشرف وبركة العيش ورغد الحياة.

وضرب عمر بن عبد العزيز مثالاً واضحاً على قدرة الإسلام على العودة باستمرار لقيادة الحياة السياسية والتشريعية والحضارية، وصياغتها بما ينسجم ومبادئه الأساسية، إلا أن الخلفاء الأمويين الذين جاؤوا في أعقاب عمر لم يواصلوا السير على الطريق ذاته، ونقضت مع الزمن إجراءات عمر بن عبد العزيز الإصلاحية، وقام فيما يُسمى اليوم بثورة مضادة أودت في نهاية الأمر بمحاولة عمر الإصلاحية التي يمكن لو قيّض لها من يواصل السير على منهجها، أن تحمي الوجود الأموي نفسه من الدمار، فها هم خلفاء بني أمية المتأخرون يعودون إلى ممارسة الأخطاء الكبيرة نفسها في مجالات السياسة والإدارة والاجتماع، وبشكل أكثر حدة وعنف من ذي قبل، كما مر بنا، فكان أن تحققت الدعوة العباسية السرية الدقيقة لكي تعلن عن ثورتها، وتقضي

على ذلك البناء الشامخ، الذي عاش ما يقرب قرناً من الزمان.[1]

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ **[هود: 117]**.

ثانياً: الظلم:

إنَّ الظلم في الدولة كالمرض في الإنسان يعجل في موته بعد أن يقضي المدة المقدرة له وهو مريض، وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذلك الظلم في الأمة والدولة، يعجل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها، واضمحلالها خلال مدة معينة يعلمها الله هي الأجل المقدر لها، أي الذي قدره الله بموجب سنته العامة التي وضعها لآجال الأمم، بناء على ما يكون فيها من عوامل البقاء كالعدل، أو من عوامل الهلاك كالظلم الذي يظهر أثرها، وهو هلاكها بعد مضي مدة محددة يعلمها الله[2]، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

---

[1] في التفسير الإسلامي للتاريخ، السامرائي، ص 128.

[2] في التأصيل الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ 1998م، ص 63.

أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ **[الأعراف: 34]**، قال الآلوسي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: أي لكل أمة من الأمم الهالكة أجل، أي: وقت معين مضروب لاستئصالهم.[1]

ولكن هلاك الأمم وإن كان شيئاً مؤكداً ولكن وقت حلوله مجهول لنا، أي: أننا نعلم يقيناً أن الأمة الظالمة تهلك حتماً بسبب ظلمها حسب سنة الله تعالى في الظلم والظالمين، ولكننا لا نعرف وقت هلاكها بالضبط، فلا يمكن لأحد أن يحدد ذلك بالأيام ولا بالسنين، وهو محدد عند الله تعالى.[2]

إن سنة الله مطردة في هلاك الأمم الظالمة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَخْذُ

---

[1] تفسير الآلوسي، المسمَّى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثالي، إدارة الطباعة بالهند، بدون ذكر سنة الطبع، (112/8).

[2] السنن الإلهية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1413هـ - 1993م، ص 121.

رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ **[هود: 100-102]**؛ إن الآية الكريمة تبين أن عذاب الله ليس مقتصراً على من تقدم من الأمم الظالمة، بل إن سنته تعالى في أخذ كل الظالمين سنة واحدة، فلا ينبغي أن يظن أحد أن هذا الهلاك قاصر على أولئك الظلمة السابقين؛ لأن الله تعالى لما حكى أحوالهم بين أن كل من شارك أولئك المتقدمين في أفعالهم التي أدت إلى هلاكهم فلابد أن يشاركهم في ذلك الأخذ الأليم.

إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة، بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس، والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية، وتظالم الناس فيما بينهم[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ **[هود: 117]**، قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ في تفسيره: إن المراد من الظلم في هذه الآية الشرك، والمعنى: أن الله تعالى لا يهلك أهل القرى

[1] المصدر السابق نفسه.

بمجرد كونهم مشركين، إذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم، يعامل بعضهم بعضاً على الصلاح وعدم الفساد[1]، وفي تفسير القرطبي ـ رحمه الله ـ: قوله تعالى: ﴿بظلم﴾ أي: بشرك وكفر أي: فيما بينهم في تعاطي الحقوق، ومعنى الآية: إن الله تعالى لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده، حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان وقوم لوط باللواط[2].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هلاك الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة: وأمور الناس إنما تستقيم مع العدل الذي يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: إن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم تقم بالعدل لم

---

[1] تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (16/18).

[2] تفسير القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، (114/9).

تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الاخرة[1].

ولقد حدثت مظالم عظيمة في عهد الأمويين، فقد سفكوا الدماء بغير حق، وقتلوا بعض صالحي الأمة كالإمام الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما، وهتكوا حرمة المدينة واستباحوها في معركة الحرّة، وحاصروا الكعبة وقتلوا الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير، وسفكوا دم العالم الجليل سعيد بن جبير، وقضوا بعنف على ثورة زيد بن علي في ظروف وأوقات مختلفة، ولم يلتزم بعض زعمائهم بالعهود كعبد الملك في قتله لعمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، والذي ترك قتله أثراً كبيراً على الدولة الأموية في عهد عبد الملك[2] وغير ذلك من الشخصيات المهمة التي سفكت دماؤها بدون وجه حق، هذه مظالم في الأنفس.

وأما الأموال، فقد فرضوا زيادات في بعض الضرائب المقررة، وأنشؤوا ضرائب جديدة لم تكن معروفة، ومالوا لأهل الشام فأكرموهم

---

[1] رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص 40.

[2] بنو أمية بين السقوط والانتحار، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م، ص 73، 84.

من أموال الأمة بزيادة الهبات المالية والرواتب الكبيرة جزاء تأييدهم المتواصل للحكم الأموي، واستخدموا أموال بيت المال لتأليف القلوب عليهم ثم الدعاية لأنفسهم طول الوقت، وكانوا كرماء مع الشعراء، الذين تكسبوا بالشعر عن طريق الإسراف في مدحهم وخصوصاً في عهد عبد الملك، واستولوا على حق الأمة في اختيار من تشاء في الحكم، وجعلوه ملكاً وراثياً قاتلوا عليه بحد السيوف.

وقد استغل أعداء الدولة الأموية هذه المظالم وأسرفوا في الدعاية ضدها، ووجدوا الكثير من نقاط الضعف للهجوم عليها.[1] لقد ساهمت المظالم الأموية في تقوية الدّعاية للحركات المضادة لهم، ثم تبلورت مع الزمن حتى جاءت الدعوة العباسية وأزالت الأمويين من الوجود بسبب مظالمهم المالية والسياسية والاجتماعية، ومضت سنة الله فيهم.

ثالثاً: الترف والانغماس في الشهوات:

[1] دولة الأمويين، د. علي حبيبة، الناشر: مكتبة الشباب بمصر، ص 134 . 136.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ **[هود: 116]** أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي. ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين؛ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما اهتموا بالتنعم والترف والانغماس في الشهوات، والتطلع إلى الزعامة والحفاظ عليها والسعي لها، وطلب أسباب العيش الهنيء[1].

وقد مضت سنة الله في المترفين الذين أبطرتهم النعمة، وابتعدوا عن شرع الله بالهلاك والعذاب؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ **[الأنبياء: 11 - 13]**.

ومن سنة الله تعالى هلاك الأمة بفسق مترفيها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

---

[1] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، ص 186.

فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ **[الإسراء: 16]**؛ أي: متنعميها وجباريها وملوكها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول فأهلكناها، وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع، لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وما وقع من سوئهم إنما وقع باتباعهم وإغوائهم، فكان توجه الأمر إليهم آكد[1].

ومن خلفاء بني أمية الذين ظهر فيهم الترف والميل إلى الدعة والاهتمام بالغواني يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد، وقد سئل أحد أمراء بني أمية عن سبب زوال ملكهم، فقال: شُغلنا بلذّاتنا عن التفرغ لمهمّاتنا[2]

رابعاً: تعطيل خيار الشورى:

ضرب الأمويون نظام الشورى في الحكم، ذلك النظام القائم على حرية الانتخاب وحرية المعارضة، والذي كانت القيادة الراشدة نفذته

---

(1) روح المعاني، الآلوسي، (42/15).

(2) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، دار صادر، بيروت، ص 155.

التزاماً بمعطيات القران والسنة في هذا المجال، ولقد ولّدت خطوة الأمويين هذه التي أقدم عليها معاوية في أخريات خلافته الكثير من ردود الأفعال، وبالتالي في حركات المعارضة السلمية والمسلحة، والتي استنزفت في جسد الأمة الإسلامية طيلة العقود التالية الكثير من العناء والدماء، بل إن بعضها تحول إلى تجمع مذهبي وصل حد الانغلاق في عدائه مع خصومه، وأصبح على استعداد لتقبل عناصر غريبة شاذة، لم يقبل بها الإسلام يوماً أو يدعو إليها..

إن الفعل الخاطئ يولد رد فعل خاطئ يساويه في القوة ويخالفه في الاتجاه، وهذا الذي حدث فعلاً عبر عديد من حركات المعارضة الدموية والتمزقات السياسية العنيفة التي شاهدها هذا العصر[1].

خامساً: نظام ولاية العهد:

أوجد نظام ولاية العهد البغض والكراهية ليس لدى جماهير المسلمين فحسب، بل لدى أهل البيت الأموي نفسه، ففضلاً عن أن

---

[1] في التأصيل الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص 60.

الفكرة شغلت معاوية، كما شغله تنفيذها، إلا أنها جلبت على الدولة الأموية كلها المشاكل التي أسهمت في كراهية الناس لها، وسعيهم في القضاء عليها، وأسهمت في خلق التفكك وإضعاف التضامن في البيت الأموي[1].

يقول الشيخ محمد خضري بك: كانت ولاية العهد سبباً كبيراً في انشقاق البيت الأموي، وذلك أن بني مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلي أحدهما الاخر. وأول من فعل ذلك مروان؛ فإنه أزاح خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد، ثم ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز، وكذلك عبد الملك حيث كاد أن يشق هذا البيت حين أراد تحويل ولاية عهده إلى ابنه الوليد وعزل أخيه، لولا أن ساعده القضاء المحتوم بوفاة عبد العزيز، فلم تبدأ الأزمة ولكنه هو الذي رأى ذلك وعلمه، ولم يستفد من تلك التجربة بل ولى الوليد وسليمان، وخطر ببال الوليد أن يعزل سليمان ويولي ابنه، فعاجله القضاء وأخر الأمر إلى حين، ولم يستفد سليمان مما حصل له فولى عهده عمر بن عبد العزيز ثم يزيد

---

[1] رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد سليمان، دار الإصلاح، السعودية، ص 264.

بن عبد الملك، ولم يكن عمر يميل إلى يزيد فخيف منه فعوجل حتى قيل: إنه سم، وأعاد يزيد هذه الغلطة فولى عهده هشاماً أخاه ثم الوليد ابنه، فأراد هشام أن يخلع الوليد، ولجَّ في ذلك حتى تباعد ما بين هشام والوليد، وكان كثير من كبار القواد وذوي الكلمة المسموعة في الدولة الأموية صرحوا بممالأة هشام على رأيه، ولكنه مات قبل أن ينفذ ما رأى، فجاء الوليد مشمراً عن ساعد الجد في الانتقام من أولئك الخصوم الذين عليهم المعول في إشادة بيتهم، ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته، فكان ذلك نذير الخراب، فإن البيت انشق وتجزأت القوى التي كان يستند عليها، فكان من وراء ذلك مجال واسع لخصومهم الذين هبت أعاصيرهم من المشرق، فأخمدت منهم الأنفس وجعلتهم أثراً بعد عين[1].

إن نظام ولاية العهد على النحو الذي أحدثه معاوية رضي الله عنه والطريقة التي طوّر بها الأمويون هذا النظام، جعلت ضرره أكثر من نفعه، ويكفي لبيان ذلك الإشارة للاتي:

---

[1] المصدر السابق نفسه.

1 . شجع العصبية ودعمها، وقد نهى عنها الإسلام.

2 . إن هذا النظام قد سيطرت فيه عاطفة الأبوة والأقرب نسباً وقوة العصبية على عملية التولية بصفة عامة، وقد أدى ذلك إلى الآتي:

أ . تقييد حق الأمة في اختيار الخليفة بحصره في أسرة معينة.

ب . تقييد مبدأ الشورى بحصره في أهل عصبية وشوكة الأسرة الحاكمة.

ج . دفعت المفضول إلى تولي الخلافة مع وجود الأفضل، بل وبمن افتقد بعض شروط الخلافة مع وجود المستجمعين لهذه الشروط وفقاً لما سلف ذكره.

د . وضع الخلفاء موضع تهمة وشبهة، كما أثار الشك . عند بعض الناس . حول مشروعية البيعة بولاية العهد، والبيعة بالخلافة.

3 . أدى إلى ظهور العداوة والبغضاء بين الأسر القرشية، وأيضاً بين أفراد البيت الحاكم، وذلك مما أدى في النهاية إلى ضمور قوتهم

وزوال شوكتهم[1].

سادساً: الثورات ضد النظام الأموي:

1 . ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما:

كانت ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما ضد يزيد بن معاوية من أخطر الثورات ضد الأمويين، لا لأنه كان يقود جيشاً كبيراً يستطيع مع الأمل والرجاء أن يحطم كيان تلك الدولة، وإنما لأنه كان يمثل ضمير الأمة الراغبة في الاستمساك بحقها في منح السلطة لمن يستحقها من رجالها، ثم إن استشهاد الحسين رضي الله عنه كان عامل شحن عاطفي قوي ضد الأمويين، أدت إلى حدوث الثورات الأخرى التي واجهها الأمويون باسم حركة التوابين مرة، وباسم حركة المختار الثقفي مرة أخرى، وكانت في النهاية إحدى المآسي التي حركت كوامن الغضب عند معارضي الدولة الأموية، وقد استغلتها الدعاية العباسية

---

[1] نظام الحكم في الإسلام بين النظرية والتطبيق، د. أحمد عبد الله مفتاح، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص 307.

في ضم الأنصار وترتيب صفوف الحركة، وإذا كان صحيحاً أن الدولة الأموية فقدت وجودها بعد أن فقدت مقومات حياتها ومنها القوة والوحدة السياسية، فإن المعارضة للأمويين كان لها دورها الكبير في تحطيم دولتهم، فإن ثورة الحسين تقف من ضمن المعالم البارزة التي أسهمت طول الزمن في القضاء على الأمويين ودولتهم[1].

2 . ثورة زيد بن علي بن الحسين:

خلفت ثورة زيد وراءها أحداثاً ساهمت في زوال الدولة الأموية، فالدعوة العباسية نالت بموت زيد أكبر تعضيد؛ إذ زال من طريقها منافس قوي وخصم شجاع، كما أن الشيعة فقدوا بمقتل زيد قوتهم، فأتاح ذلك الفرصة لانتصار الدعوة العباسية[2] فقد استفادت الدعاية العباسية من توظيف مقتل زيد وابنه يحيى في حشد الأنصار ضد الأمويين.

---

(1) دولة الأمويين، د. علي حبيبة، ص 156.

(2) تاريخ العراق تحت الحكم الأموي، علي الخربو، ص 220، 221.

3 . الخوارج:

لم يعترف الخوارج بخلافة معاوية وخلفاء بني أمية بحسب معتقدهم، ولا يثبتون إلا خلافة أبي بكر وعمر وشطراً من خلافة عثمان، وخلافة علي قبل أن يحكِّم[1]، لذا واصلوا حروبهم وهجماتهم لتغيير المنكر ـ حسب معتقدهم ـ بإزالة الحكم الأموي وإقامة الخلافة الشرعية من منظورهم.

وقد اتسعت دائرة الخوارج في الدولة الأموية مع مرور الوقت لا سيما في خراسان والجزيرة الفراتية، كما كان لهم ظهور في اليمن ومصر ونجد، وفي أواخر الدولة الأموية أصبح لهم شأن في شمال إفريقية، ورغم الجهود وكثرة المعارك التي خاضها ولاة بني أمية وقوادهم ضد الخوارج لم يستطيعوا القضاء على حركتهم، إذ استمرت حركات الخوارج بعد سقوط الدولة الأموية، كما لم يستطع الخوارج ـ على الرغم من استمرار ثورتهم ضد الدولة الأموية وتعدد فرقهم وميادينهم ـ أن يقضوا على

[1] الخوارج، ناصر العقل، ص 34.

الدولة الأموية، ولكنهم استطاعوا أن يلحقوا بها خسائر كبيرة، ويصبحوا مصدر قلق لخلفائها وولاتها طول الحكم الأموي، لذا فهم من أبرز عوامل الضعف التي أسهمت بقدر كبير في سقوط الدولة الأموية[1]، ولم يستفيدوا شيئاً رغم تضحياتهم الكبيرة، فقد لعبوا دوراً كبيراً في إضعاف مروان بن محمد وإشغاله بثوراتهم الكثيرة والعنيفة، وهذا ساعد العباسيين في استغلال هذا العامل لتحقيق مشروعهم الكبير.

وقد كانت الثورات في العهد الأموي كثيرة قد مرّ ذكرها، وكل الثورات السابقة ساهمت في إضعاف الدولة الأموية وإنهاكها ثم زوالها، وكان عنف الولاة وقسوتهم في القضاء على الثورات، والفتك بالأحزاب المناوئة للخلافة سبباً مباشراً في اشتداد الخوارج في العنف والتطرف أكثر من ذي قبل، وفي تحول المعارضة للعمل السري المنظم والاستفادة من الأخطاء السابقة، هذا فضلاً عن أن الاضطهاد الذي تعرض له

[1] أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ، ص 444.

الموالي، واستنكار حقوقهم أدى إلى الانضمام إلى أية ثورة مناهضة للحكم الأموي[1] وقد ساهمت سياسة الأمويين مع الخوارج باستمرارية حركتهم لبعدهم عن منهج عمر بن عبد العزيز القائم على نشر العدل في الرعية والحوار معهم.

سابعاً: العصبية:

مارس العديد من خلفاء بني أمية الخطيئة القاتلة؛ حيث أشعلوا نار العصبية القبلية وزادوا إضرامها بالتزام هذا الجانب القبلي أو ذاك، الأمر الذي فتت قاعدتهم في بلاد الشام نفسها وشطرها شطرين، أحدهما: قيسي ينتمي إلى عرب الشمال، والاخر: يمني ينتمي إلى عرب الجنوب، وقد سعى معاوية المؤسس مُنذ البدء إلى تلافي هذه المعضلة، ونجح في ذلك إلى حد كبير، ولكن أعقابه وبخاصة السلالة المروانية التي تسلمت السلطة عام 64 هـ على يد مروان بن الحكم كانت في أعقاب تلك المعركة القبلية العنيفة بين اليمانيين والقيسيين،

---

[1] رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، د. حسين محمد سليمان، ص 265.

والتي عرفت باسم مرج راهط.

هذه الأسرة مارس معظم خلفائها سياسة قبلية واضحة أخذت تتصاعد يوماً بعد يوم، وامتدت تأثيراتها إلى كافة الأقاليم وإلى سائر مساحات الحياة الإدارية والسياسية والاقتصادية، فكانت أحد العوامل الخطيرة في تدمير الوجود الأموي في نهاية الأمر، ومنذُ وفاة هشام بن عبد الملك عام (125 هـ) وحتى سقوط الدولة الأموية عام (132 هـ) أخذت الأفعال وردود الأفعال القبلية تتصاعد وتزداد استشراء، وكانت من بين الثغرات العديدة التي نفذت منها الدعوة العباسية لتحقيق أهدافها، انحاز الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 هـ 126 هـ) إلى القيسية، وشدّد الخناق على اليمانية، فثاروا عليه وحرضوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك على البيعة لنفسه، وتمكنوا أخيراً من قتله وتحقيق هدفهم بمبايعة يزيد بن الوليد الذي ما لبث أن وجد نفسه مضطراً لإخماد فتنة القيسية في أماكن متعددة من الشام وفلسطين، كما اعتقل عدداً من قادتهم، فلما توفي في هذا العام نفسه تولى الدولة من بعده أخيه إبراهيم، إلاَّ أن هذا لم

يلبث في الحكم سوى أشهر معدودات، إذ تحرك ضده مروان بن محمد بأنصاره القيسيين وتمكن من هزيمة قواته من اليمانيين قريباً من دمشق، الأمر الذي دفعهم إلى سلسلة من الأعمال الانتقامية ضد القيسيين في دمشق، لكن مروان ما لبث أن دخل دمشق وأخمد فتنتها، لكنه لم يأمن على

نفسه الإقامة فيها لكثرة اليمانية فانتقل إلى حرّان[1].

إلا أن انتصار مروان لم يحسم معضلة الصراع بين القيسية واليمانية، بل زادها اشتعالاً، وما لبثت نارها أن امتدت إلى كافة أنحاء الدولة، فثارت اليمانية في حمص والغوطة وفلسطين، وتمكن مروان من إخماد هذه الثورات الواحدة تلو الأخرى لكن بعد أن كلّفه ذلك غالياً. كما انتشرت الصراعات القبلية في المغرب والأندلس.

أما العراق فقد شهد الصراع نفسه بين الجماعتين لولا أن جدّ من استشرائه تفاقم أمر عدو مشترك هو الخوارج، وأما في خراسان فقد استفحل الأمر بين الطرفين، وبلغ نقطة اللاعودة رغم بعض المحاولات

---

[1] في التأصيل الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص 60، 61.

التي سعت لوقف الانهيار، وقد استمر هذا الصراع سنين عديدة، خندق كل من الطرفين إزاء الاخر دون أن يتمكن أحدهما من أن يطوي الاخر، الأمر الذي مكّن للدعوة العباسية من أن تثبّت نفوذها هناك، وتتحفز للانقضاض على الدولة الأموية.

وقد بقي أبو مسلم الخراساني شهوراً لا يجرؤ على الاستيلاء على مرو قاعدة خراسان، لكنه أخذ يحتل المواقع المحيطة بها مستغلاً الصراع بين اليمنيين والقيسيين، وحاول نصر بن سيار مرة أخرى تحقيق الوفاق بين الطرفين دون جدوى، بينما كان أبو مسلم يذكي العداء بين نصر والكرماني، ونزل في خندق ثالث بين خندقيهما، واستطاع أبو مسلم من تحقيق هدفه المرتجى، ودخل مرو سنة 130 هـ، وكان ذلك البداية الحقيقية لنجاح الدعوة العباسية وانهيار الأمويين.[1]

إن الإسلام يحرم العصبية التي تؤدي إلى التناحر والصراع وتتحكم في الأفراد والجماعات والأمم، وتدفعهم نحو القتال بدون وجه حق،

[1] المصدر السابق نفسه، ص 62.

فالعصبية مصادمة لنصوص القران الداعية إلى الوحدة والائتلاف[1]، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **[آل عمران: 103]**، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **[آل عمران: 105]**.

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية"[2]. ودعوى الجاهلية ندب الميت، وتكون دعوى الجاهلية في العصبية[3]

إن قصة الدولة الأموية تملك دلالتها المعاصرة، فحين تكون الدولة

---

[1] العصبية في ضوء الإسلام، د. هاشم محمد علي المشهداني، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م، دار الثقافة بالدوحة، قطر، ص 31.

[2] صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ 1991م. رقم: (1294).

[3] اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. (233/1).

حكراً على فئة معينة من مجتمعها، فإنها تضع أساس عدم استقرارها السياسي وتهديد هويتها الفكرية وانقسام قاعدتها الاجتماعية والسياسية ثم زوالها. [1]

ثامناً: الموالي:

إنَّ القارئ للتاريخ الإسلامي سوف يلحظ أن الموالي كان لهم دورهم السياسي والعلمي في الدولة الأموية، فقد قاموا بأعمال الفتوحات الواسعة كقادة الجيش، كما قاموا بأعمال التنظيم الإداري كالقيام على أمر الدواوين وتعريبها، ثم كعلماء بزوا العرب في ذلك، ويمكن القول: إن الموالي كانوا على ثلاث طبقات:

1 . الطبقة الأولى:

موالٍ للعرب؛ إما أعتقوا أو عقدوا حلفاً مع بعض القبائل العربية ذات النفوذ السياسي، أي: تنتمي إلى قاعدة العصبية التي قامت

---

[1] الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، د. كمال السعدي حبيب، مكتبة مدبولي، مصر، طبعة 2002م، ص 161.

عليها الدولة الأموية، وهؤلاء كانوا رِدئاً للدولة في القيام بكثير من الأعمال، ويحدثنا الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب: أن (سرجون بن منصور) الرومي كان يكتب لمعاوية على ديوان الخراج، ويكتب لزياد مولاه مرداس، وعلى الخراج زاذان فروخ، وكان ذلك في أيام معاوية بن يزيد بن معاوية، ويكتب على الديوان (سرجون بن منصور) النصراني ـ أي غير المسلم ـ ويكتب لعبد الملك على ديوان الرسائل (أبو الزعيزعة) مولاه، وعلى ديوان الخاتم للوليد بن عبد الملك شعيب الصابي مولاه، ويكتب له على المستغلات بدمشق يفيع بن ذؤيب مولاه[1]، وكان كبار الفاتحين المسلمين (طارق بن زياد) مولى من البربر، وكان عامة جيشه الذي فتح الأندلس من الموالي.[2]

ومن الموالي الذين وصلوا الإمارة: موسى بن نصير، وكان والده من سبي عين التمر[3]، وولي أبو المهاجر دينار مولى الأنصار إفريقية 47

---

[1] الوزراء والكتاب؛ نقلاً عن الأقليات والسياسة، ص 151.

[2] الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، د. كمال السعدي حبيب، ص 152.

[3] أثر أهل الكتاب في الحروب الأهلية، جميل المصري، ص 450.

هـ، وتولى يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ولاية إفريقية أيضاً، وكان من الموالي، ولما قتل ولوا محمد بن يزيد مولى الأنصار سنة 102 هـ[1] وغيرهم، ولم يكن الموالي مجرد موظفين، ولكن كان لهم دور سياسي كبير في توجيه الأمور، ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتب التاريخ من وجود دور للموالي في الأعمال السياسية أو القتالية أو الإدارية، وبالتالي فإن هؤلاء الموالي كانوا جزءاً حقيقياً من الطبقة الحاكمة بلا فرق بينهم وبين مواليهم، فكل طبقة حاكمة تنحو منحى عصبوياً، فإنها تكون بحاجة إلى توسيع قاعدة عصبيتها ليقوموا على الأعمال الهائلة والممتدة المنوطة بالدولة، وكان الموالي هم الطبقة التي اصطنعتها الدولة الأموية لتواجه المهام التي ينبغي للدولة أن تؤديها، خاصة وأن الموالي كانت لديهم قدرة كبيرة في الأعمال الإدارية والسياسية، والقتالية، لكن الذين اصطفتهم الدولة من الموالي لتوسيع قاعدة النخبة الحاكمة كانوا جزءاً ضئيلاً من فيضان الموالي الذين دخلوا الإسلام، وبالتالي فهؤلاء الطبقة من الموالي كانوا قليلين لو قورنوا

---

[1] المصدر السابق نفسه.

بالأعداد الهائلة للموالي التي دخلت الإسلام، والتي مثلت عبئاً على الدولة الأموية[1]

2 . الطبقة الثانية:

وهم العلماء الذين انخرطوا في طلب العلم واستطاعوا أن يحفظوا للأمة الإسلامية تراثها الفقهي والأدبي والحديثي وكل فروع العلم، ففي المدينة على سبيل المثال كان من سادة العلماء فيها: (سلمان بن بشار) مولى ميمونة بنت الحارث، توفي سنة 103 هـ، ونافع مولى عمر، وربيعة الرأي وهو من شيوخ الإمام مالك، وفي مكة: مجاهد بن جبر، مولى قيس المخزومي، توفي سنة 102 هـ، وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، وفي البصرة: الحسن البصري، وأبوه مولى زيد بن ثابت، وفي الشام: مكحول، توفي سنة 118 هـ، وفي مصر: يزيد بن حبيب (بربري)؛ وهو شيخ الليث بن سعد، وغيرهم كثير.[2]

---

[1] الأقليات والسياسة، كمال السعدي حبيب، ص 153.

[2] المصدر السابق.

3 . الطبقة الثالثة:

وهؤلاء هم عامة الموالي، وهؤلاء تحولوا إلى الإسلام بدون أن يعقدوا مع إحدى القبائل العربية عقد موالاة، فبقي ولاؤهم للأمة كلها، أي: ينتسبون للأمة دون أن يكون هناك مؤسسة اجتماعية يمكن أن تحميهم أو تهيئ لهم الارتقاء في المؤسسات السياسية، كما قد يكون هؤلاء موالي لبعض القوى الاجتماعية التي تتحيز الدولة ضدها، كأن يكونوا موالي القيسية بينما قاعدة الدولة العصبوية تعتمد على اليمانية، وهنا فإن الموالي يعاملون كما تعاملهم قبائلهم،... وبينما نعم العلماء بالاحترام، فإن الطبقة الأولى من الموالي قد تعرضت لتقلبات السياسة، بينما تعرضت الطبقة الأخيرة للمعاملة التمييزية التي تصل إلى حد الامتهان، وقد أدت العصبية العربية ضد الموالي إلى رد فعل لديهم يؤكد ذاتهم في مواجهة تعصب العرب لبني جنسهم[1]. وقد اتبع الموالي في خراسان الدعوة العباسية للتخلص من التمييز الاجتماعي والسياسي

[1] الأقليات والسياسة، كمال السعدي حبيب، ص 154.

الذي مارسته ضدهم الدولة الأموية.[1]

وفي الحقيقة لم تكن هناك سياسات عامة للدولة الأموية لاضطهادهم أو التعصب ضدهم، ولم يكن هناك مجال من مجالات العمل موصد أمامهم، فقد رأينا الأمراء وقادة الجيوش والعلماء من الموالي، والحق أن هذه النظرة المتعالية إلى الموالي، لم تكن نظرة كل العرب، بل كانت نظرة بعض البدو الذين لم يفهموا الإسلام فهماً حقيقياً، وربما كانت نظرة بعض الولاة، الذين كان يستفزهم عداء الموالي للدولة الأموية، فصدر منهم ظلم وجور للموالي وللعرب من أعداء الدولة، ومن الظلم أن يحمل ذلك على أنه السياسة العامة للدولة الأموية[2]، وكما كان في الموالي من ارتفع به إيمانه فوق العصبية، والعنجهية القومية؛ فقد كان الكثير من العرب من فهم الإسلام جيداً، وآمن بأنه يسوي بين جميع المسلمين، من عرب

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار الاتحاد التعاوني للطباعة بمصر، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1996 م، ص 432.

وعجم، وأيقن أن الرجل يشرف بدينه وعمله وخلقه، وليس بجنسه وعرقه، فأكرم الناس عند الله أتقاهم، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فالحسن البصري وهو مولى كانت له منزلة كبيرة عند العرب، وكلمة مسموعة حتى عند الدولة، بل كان ينتقد علانية خلفاء بني أمية وولاتهم، ويوم مات تبع الناس كلهم جنازته، حتى لم يبق في المسجد من يصلي العصر.[1]

وعلى كثرة من قتل الحجاج بن يوسف الثقفي من العرب والموالي في الثورات والفتن العديدة التي شهدتها ولايته على العراق لم يشتد استنكار الناس عليه في قتل أحد، كما اشتد عليه في قتله سعيد بن جبير وهو مولى، وذلك لمكانة سعيد عند الناس، مع أنه خرج ثائراً على الدولة مع ابن الأشعث.[2]

إن الفكرة الشائعة عن بني أمية والتي أذاعها فون كريمر، وفان

---

[1] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402هـ، (587/4).

[2] العالم الإسلامي في العصر الأموي، د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار الاتحاد التعاوني للطباعة بمصر، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1996 م، ص 433.

فلوتن، وبروان، ورددها كما هي جرجي زيدان وفيليب حتي، ونقلها بعض المؤرخين المحدثين؛ مثل: حسن إبراهيم حسن، وعلي حسني الخربوطلي، وغيرهم، وهي أن بني أمية كانوا متعصبين ضد الموالي، وأنهم استغلوهم واضطهدوهم واحتقروهم، وأنه كان من نتائج ذلك سخط الموالي الذي تولد عنه سقوط الدولة الأموية[1]، وهذا ليس على إطلاقه، فقد تبين أن هناك مجموعات من الموالي مع الأمويين، وإنما كانت أعداد كبيرة من الموالي مثلهم مثل بقية العرب المعارضين للحكم الأموي استطاعت الدعوة العباسية أن توظف هذه الشريحة من المجتمع الإسلامي وتقنعها بمبادئها وأهدافها، فانضوت تحت لواء الدعوة العباسية وساهمت في القضاء على الدولة الأموية، فقد استغلت الدعوة العباسية كل الظروف واستفادت من جميع العناصر الناقمة على الدولة الأموية.

تاسعاً: فشل الأمويين في إيجاد تيار حضاري:

---

[1] الإدارة في العصر الأموي، ص 241؛ الشيعة والإسرائيليات، تاريخ العرب المطول، فيليب حتي؛ تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن.

كان عمر بن عبد العزيز قد حاول ـ بإيمان صادق، وذكاء متميز سبقه إليه جده عمر بن الخطاب ـ أن يوقف هذا الامتداد في الأرض حتى يواكبه امتداد في الدعوة، بحيث لا تطغى الأرض على الحضارة، ولا الدولة على الدعوة، ولا تصبح اعتبارات السياسة أهم من مبادئ الدين، فقد عمل على إيجاد تيار حضاري عقدي يملأ أركان الحياة.

ومهما يكن من أمر فإن الدولة الأموية ـ في عمومها ـ لم تستوعب قانون الامتداد الحضاري، فبعد الامتداد (بالفتوحات) كان عليها أن تمتد (بالدعوة)، وإلا فقدت بالداخل البقاء والتقدم[1].

وفي عصري الانطلاق والازدهار أيام معاوية وعبد الملك والوليد وحتى هشام كان بريق الامتداد يبهر الأبصار، ويوجه الطاقات ويقدم تبريرات البقاء، فلما أوشك هذان العصران على الانتهاء كان لابد للأمويين من تبريرات جديدة يعيشون عليها، وتندفع الجماهير خلفهم تحت رايتها، وافتقد أواخر العهد الأموي وجود أمثال عبد الملك والوليد من بناة الدول وصانعي الفتوحات العظيمة، ومن أمثال عمر

[1] بنو أمية بين السقوط والانتحار، عبد الحليم عويس، ص 81 ـ 83.

بن عبد العزيز من رجال الإصلاح والتجديد ومن رجال الدعوة والعدل الشامل، وتقديم نموذج الدولة الراشدة لبقية الإنسانية، فبدلاً من هذا، قدم الأمويون رجالاً من طراز الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد[1]؛ الذين لم يستطيعوا أن يقدموا مشروعاً حضارياً يجدد حيوية الدولة، ويرسم أهدافها ويدفعها بقوة نحوها، وإنما دخلوا في أنفاق مظلمة انتهت بزوال دولتهم.

لقد فشل خلفاء بني أمية المتأخرون في إيجاد تيار حضاري بعد أن اتسعت رقعة الأرض التي يقومون فوقها، ولم يستطيعوا تحويل المناوئين لهم إلى عاملين معهم، في مجال الدعوة ونشر الإسلام ودعوة الأمم وتعليمها وتربيتها على الإسلام الصحيح، وتعليم الشعوب دين الله سواء باللغة العربية، أو بترجمة حقيقة الإسلام للغات الشعوب المسلمة، فقد كان المطلوب منهم تحقيق التوازن بين الدولة والدعوة، والأرض والعقيدة، والسياسة والفكر، وكانت هذه رسالة عظمى، لم يتقدم فيها الأمويون كما تقتضي الظروف والتحديات، وكما تقتضي

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص 84.

الملائمة للتحدي، وهذا هو الخطأ الحضاري الكبير[1]، فحقيقة الأمر أنهم لم ينبعثوا بتيار حضاري يتمم تيارات الفتوحات ويكمله، ويمتص كل حركات الخروج والفتن، فهكذا التاريخ الحضاري دائماً؛ إما أن تتقدم أو تموت ولا سكون في تاريخ الإنسانية[2].

عاشراً: النزاع الداخلي بين الأسرة الحاكمة:

إن سنة الله تعالى ماضية في الشعوب والأمم لا تتبدل ولا تتغير ولا تجامل، وجعل الله سبحانه وتعالى من أسباب هلاك الأمم وزوال الدول الاختلاف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" وفي رواية: "فأُهلكوا".[3] وعند ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه: "فإنما أهلك من كان قبلكم الاختلاف".

إن من الدروس المهمة في هذه الدراسة التاريخية أن نتوقى الهلاك بتوقي أسباب الاختلاف المذموم، لأن الاختلاف كان سبباً من

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] المصدر السابق نفسه، ص 98.

[3] صحيح البخاري، بشرح العسقلاني (9/101، 102).

الأسباب في ضياع الدولة الأموية وهلاكها واندثارها، وكان لهذا الاختلاف الذي وقع في البيت الأموي أسبابه؛ منها: ضعف الوازع الديني عند بعض أمراء الأمويين، والأنانية وحب الذات، والتكالب على المصالح الدنيوية، والتناحر من أجلها والحرص على السلطان والجاه والمناصب، وتحكيم بعض الخلفاء أهواءهم في الأمور؛ فهذه الأسباب كانت وقوداً للمنازعات والخلافات التي وقعت بين أفراد البيت الأموي، فكانت من أكبر معاول الهدم وأسباب الضعف وتلاشي الدولة، وقد استقرأ هذه الحقيقة ابن خلدون؛ حيث ذكر أن من آثار الهرم في الدولة انقسامها، وأن التنازع بين القرابة يقلص نطاقها كما يؤدي إلى قسمتها ثم اضمحلالها[1].

لقد بدأ الخلاف المؤثر في الأسرة الأموية مع تولي الوليد بن يزيد الخلافة، وخرجت بذلك من أبناء عبد الملك إلى أحفاده، فكان ذلك مما أثار الحسد بين أحفاد عبد الملك، وكان أكثرهم نحساً أبناء الوليد

[1] العبر في خبر من غبر، للذهبي، نشر مطبعة حكومة الكويت، (517/1)؛ الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم، ص 118.

بن عبد الملك، فكان للوليد بن عبد الملك تسعة عشر ولداً ذكراً، وكان عمر بن الوليد يركب ويركب معه سبعون رجلاً لصلبه، ولذلك كان آل الوليد يكاثرون بعددهم بني مروان، وكانوا يدلون بأبيهم أكبر أولاد عبد الملك، فلما قام الوليد بن يزيد بالخلافة، استعان بإخوانه وببعض بني عبد الملك بن مروان وببعض بني مروان في أمور وولايات الدولة، ولم يستعمل أحداً من آل الوليد بن عبد الملك، وجفاهم واشتد عليهم وعلى بعض بني عمه، ثم جعل الخلافة من بعده في ولديه الحكم وعثمان، فقام آل الوليد بن عبد الملك بالعمل ضده، وكان رأسهم في هذا الوجه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ولما بلغ جمع يزيد عسكر الوليد دعوهم إلى الكتاب والسنة وجعل الأمر شورى، وأخذوا يستميلونهم بالمال والولايات، وضعف أمر الوليد وقتل، وكان قيام يزيد بقتل ابن عمه الوليد وجلوسه مجلسه في الخلافة قد وضع سلطان بني أمية في قفص الاتهام، ورفع عنه أستار المهابة، ودفع به إلى السقوط وهو ما كان بنو مروان يخشونه، فقد حذر العباس بن الوليد أخاه يزيد، فقد كان مصيباً في تحذيره، وقال له: أخاف أن يكون بعض من

حسدنا هذه النعمة من عدونا أراد أن يغري بيننا، وتمثل مرة قائلاً:

لا تلحمنّ ذئاب الناسِ أنفسَكم إن الذئابَ إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرنَّ بأيديكم بطونَكُم فثمَّ لا حسرةُ تُغني ولا جزعُ[1]

وصار لسان حالهم:

وساد الناقصُ القَدَري فينا وألقى الحربَ بين بني أبينا[2]

وبعد أن كانت الخلافة تؤخذ بعهد من الخليفة القائم، وبيعة الأمة، أخذت هذه المرة بالقوة، وتحركت في مروان بن محمد أمير الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وقائد جيوش ثغورها أحاسيس الملك والسلطان، وصار يرنو بنظره إلى دمشق[3].

إن مقتل الوليد بن يزيد كان نقطة البدء في تحدي فكرة الشرعية الأموية، ومسماراً ضخماً في نعش الخلافة كمنصب له قدسيته وهيبته،

---

(1) تاريخ الطبري؛ نقلاً عن دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، ص 408.

(2) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد بطاينة، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، ص 409.

(3) لمصدر السابق نفسه.

وقد تناولت هذه الفتنة الأسس المكينة التي اعتمد عليها الحكم الأموي بشكل عام، إذ كان القائمون عليها من أهل الشام أولاً، ومن الأمويين ثانياً، وكلا العنصرين أساس في تثبيت السلطان الأموي[1].

إن هذا التمزق الداخلي هو أخطر ما أصاب بني أمية.. إن العصبية التي كانت تحفظ تماسك بني أمية ـ في وجه العصبيات الصغيرة والعواصف العامة ـ قد انشقت، وفقدت قوتها الذاتية[2]. وهكذا بدأت مسيرة الدم داخل البيت الأموي وفقدت الأمة إجلالها لهذا البيت المتآكل، وكان عهد مروان بن محمد عهد اضطراب داخلي.[3]

لقد أقدم الأمويون على عمل خطير، فهم قد انتحروا عندما تقاتلوا فيما بينهم وتبادلوا مواقع الموت.. وفي سبع سنوات كانوا قد أجهزوا على أنفسهم.. وقضوا على أسرتهم التي حملوا رايتها[4]. ووافق هذا الخلاف والنزاع بين البيت الأموي تنظيم عباسي محكم يخطط للوصول

---

[1] بنو أمية بين السقوط والانتحار، عبد الحليم عويس، ص 86، 87.

[2] المصدر السابق نفسه، ص 87.

[3] المصدر السابق نفسه، ص 93.

[4] المصدر السابق نفسه، ص 97.

إلى الحكم، وينتظر الفرصة المناسبة لذلك، حتى إذا ما حصلت استغل هذا الخلاف مما ساهم في الإطاحة ببني أمية.

حادي عشر: فشل الأمويين في تكوين جيش نظامي مرتبط بالدولة، وموالٍ لها:

لم يحسن الخلفاء المتأخرون في الدولة الأموية في الموازنة بين القبائل الرئيسية في الدولة؛ فقد مال الخليفة الوليد بن يزيد في خلافته للقبائل القيسية، وأظهر جهلاً واضحاً في علاقته مع القبائل اليمانية التي قام عليها كيان الجند الشامي، فكان لموقف الوليد من خالد بن عبد الله القسري وهو أحد أشراف اليمانية الذي أساء معاملته وسلمه إلى يوسف بن عمر بن هبيرة والي العراق، والذي عذبه حتى مات، سبب كاف لأن تظهر القبائل اليمانية استياءها وهي أكثر جند الشام، لأن مغزى هذا الإجراء إغراء قبائل قيس بقبائل اليمن، وأصبحت الحكومة حزباً قيسياً، وأصبحت قبائل اليمن مهيأة لأن تستخدم كأداة للتغيير وهي عماد القوة العسكرية، وذلك بتغيير الحكومة، خاصة وأن الوليد

بن يزيد لم يلق التأييد الكامل من آل بيته لموقفه السيئ منهم مما سهل على القوى العسكرية إيجاد المرشح البديل، فالتفت حول يزيد بن الوليد.

واستطاع يزيد تحقيق طموحه للوصول إلى الخلافة مستغلاً تذمر الفئة العسكرية الغاضبة على مكانتها وضياع امتيازاتها، ومغرياً فئات أخرى بالمال. وكان لتورط الجيش بالثورة على الخلافة وتقرير سياستها وفق ما تمليه عليه المصلحة والعصبية القبلية أن فقدت الدولة الأموية هيبتها وشرعيتها لدى مؤيديها من القبائل التي تمثل قوتها العسكرية، وبالمقابل كان لفشل الخلافة في تحقيق التوازن بين القبائل نتيجة لصراع البيت الأموي على السلطة أن فقدت الأداة التي قامت عليها واعتدت بها في إقرار سياستها وبسط شرعيتها على أقاليم الدولة، فكان أن أصبحت القبائل أداة بين الطامحين إلى السلطة، ذلك أن القبائل التي اعتمدها الأمويون كقوة عسكرية لم تستطع إدراك الأهداف السياسية للحكم المركزي، ولم تكن لها تقاليد سياسية تحدد علاقتها مع الحكومة، فاقتصرت هذه العلاقة على المصالح القبلية

الضيقة، فإذا ما تعرضت هذه المصالح، فليس لها وهي التي تملك الأداة العسكرية سوى أسلوب التغيير المسلح.

ونتيجة لتعارض المصالح القبلية التي احتوتها القوة العسكرية ودخولها في صراع على السلطة والامتيازات، فقد جرت الخلافة لأن تكون طرفاً في هذا الصراع، خاصة بعد انقسام البيت الأموي وتنازع أفراده في الوصول إلى السلطة، فكان لميل الخليفة إلى إحدى كتل هذه القوى لتحقيق طموحه من خلالها أن تحول الخلفاء الأمويون من خلفاء تتجسد فيهم وحدة الأمة إلى رؤساء لتكتلات قبلية[1]، وأدى صراع القوة العسكرية على السلطة وانقسامها إلى كتلتين متنازعتين إلى حدوث فوضى سياسية وعسكرية في مركز الخلافة وزعزع كيانها، فعجزت عن ملاحقة الأحداث في أقاليمها، فكان ذلك إيذاناً بأفول الحكم الأموي[2]، وبهذا فقد الحكم الأموي مهابته وشرعيته بعد أن

---

(1) الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الأموية، د. نزار محمد قادر النعيمي، دار الكتاب الثقافي، الأردن، الطبعة الثانية، 1424هـ - 2004م، ص 130.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 131.

تفككت عرى الرابطة القبلية التي قام عليها، ونتيجة للنظرة القبلية الضيقة لبعض خلفاء بني أمية المتأخرين، لذا لم يستطع مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهو الذي يمتلك القوة الوحيدة القادرة على إعادة الأمور إلى نصابها، أن يتجاوز هذه السياسة، خاصة وأنه قد وصل إلى السلطة بمساندة القبائل القيسية التي بايعته[1].

وكان لاعتماد مروان على القبائل التي ثارت بعد مقتل الوليد لاسترجاع سلطتها وامتيازاتها أن خلق حالة من العصيان والتمرد في صفوف قبائل اليمن، أرغمت مروان على الدخول في حروب متعددة معها.

إن القارئ الكريم لا يحتاج إلى الكثير من التفكير ليتبين له مدى تأثير القوة العسكرية للأمويين في سقوط حكمهم، فالقوة العسكرية التي قام على أكتافها الحكم وعلى موالاتها، قد تفككت عراها وانحلت روابطها بعد أن أظهر الخلفاء سياسة قبلية ضيقة اختصت بفئة معينة.

---

[1] المصدر السابق نفسه.

وقد حاول مروان بن محمد إنشاء جيش نظامي خارج القوات القبلية، وتأليف فرق نظامية تكون صلب الجيش، وتحل محل فرق القبائل، ويحل القواد المحترفون محل رؤساء القبائل، إلا أن هذه المحاولة التي استهدفت الاستغناء عن النظام القبلي في بناء القوة العسكرية قد جاءت متأخرة، وفي وقت اضطربت فيه الأوضاع في أقاليم الدولة كافة، ولم يعد من الممكن تغيير شيء، فقد أصابت العصبية كيان الجند الأموي وأدت إلى زعزعته وتخاذله، حتى في أحلك الظروف، وقد استغل العباسيون هذا الضعف للفتّ في عضد الحكم الأموي، وتعطي وصية إبراهيم بن محمد العباسي لأبي مسلم الخراساني صورة صادقة للأوضاع القبلية بين العرب؛ فقد أوصاه بقوله: فانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم، فإن الله عز وجل لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم فإنهم العدو.[1]

وهكذا فعل أبو مسلم في خراسان، ومالت اليمانية إلى بني العباس بدافع العصبية ضد القيسية التي كانت بجانب مروان بن محمد، وتجلت

---

[1] تاريخ الموصل، ص 65، الجيش وتأثيراته، ص 137.

العصبية في معركة الزاب، وكيف كانت ذات أثر كبير في هزيمة مروان بن محمد، وبعد هزيمته تخلى عنه جنده، وكان لا يمر بجند من أجناد الشام إلا انتهبوه.[1]

وأدرك مروان نتيجة الاعتماد على القوة العسكرية للقبائل، حيث قال: انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبعني منهم أحد، وذلك أنا وضعنا الأمر في غير موضعه[2].

لذا فإن عدم قدرة الخلافة على تكوين جيش نظامي دائم ومرتبط بالدولة وموال لها ومدافع عن شرعيتها، كان من أهم نقاط الضعف في الخلافة، بحيث جعل السلطة المركزية عرضة لأهواء وميول شيوخ القبائل، والمتنفذين في أقاليم الدولة الواسعة، فلما ضعف المقاتلة وضعف تماسكهم من جراء العصبية أو المطامع الشخصية، وفقدت رابطة الهدف المشترك الذي يربطها بالحكم تخلت عنه وأدت إلى

---

[1] الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية، د. نزار محمد قادر النعيمي، ص 137.

[2] المصدر السابق نفسه.

انهياره.[1]

ثاني عشر: فشل مروان بن محمد في إنقاذ الدولة الأموية:

لم يستطع مروان بن محمد أن ينقذ الدولة الأموية من سقوطها الكبير، وذلك لأسباب كثيرة:

1. عدم شرعية مروان بن محمد:

لم يكن لمروان بن محمد أي حق شرعي بالخلافة ـ بالعرف الأموي ـ فلم يذكر اسمه في تفويض ولاية العهد، كما أنه كان ابن أَمة ولم يكن من عادة الأمويين تولية العهد لأولاد الإماء من الأمراء، فقد حرموا مسلمة بن عبد الملك من الخلافة بسبب ذلك، إلا أن مروان اغتصب الخلافة نتيجة الاضطرابات التي أعقبت مقتل الوليد الثاني، وقد رفض أهل الشام الاعتراف بخلافته أول الأمر، كما ثار ضده أمراء من البيت المرواني. إن هذا الانقسام في الشام وفي البيت الحاكم أضعف البلاد

[1] المصدر السابق نفسه.

ودمر قوتها العسكرية.[1]

2. نقل عاصمة الدولة إلى حِرّان:

ارتكب مروان خطأً كبيراً عندما نقل عاصمة الدولة إلى حِرّان بالعراق، بحيث أخذت قلوب أهل الشام تنصرف عنه، وقد نقل كل الأعمال إلى العاصمة الجديدة مع بيت المال من دمشق، وال به هذا إلى نتائج خطيرة؛ فقد شعرت الشام بأجمعها مع دمشق بأنها سُلبت الحكم، يستثنى من ذلك قسمها الشمالي، وعمقت الخلافات الحزبية هذا الشعور أكثر فأكثر، وتمنى الناس العودة إلى العهود السابقة، وكان ذلك الفعل بداية النهاية لعاصمة الأمويين[2]..

إن مروان عندما ابتعد عن دمشق فقد نصيراً قوياً انتبه إلى أهميته معاوية بن أبي سفيان، فأوصى ابنه يزيد بأن يجعل أهل الشام بطانته،

---

[1] الثورة العباسية، فاروق عمر فوزي، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، طبعة 2001م، ص 70.

[2] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، 1402هـ - 1982م، ص 154.

وأن ينتصر بهم، وبالفعل لقد ألف أهل الشام بني أمية، فأصبح هواهم في بني أمية، وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم. والواقع أن معاوية مُنذ أيام ولايته أدرك طباع أهل الشام، وأخلاقهم فماشاهم، وساسهم أحسن سياسة، فأخلصوا له أشد الإخلاص، وحفظوا له أطيب الذكرى، والتفوا حول بيته، حتى أصبح آل أمية وجه دمشق المشرق، إلا أنه لما فشت العصبية القبلية واشتدت، وأصبح الخليفة لفئة من الناس دون فئة، واضطره هذا في بعض الأحيان أن يعرض عن اليمانية، وهم معظم أهل الشام، بدأ هؤلاء يبتعدون عن الأسرة الأموية قليلاً، ولكن رغم كل ذلك بقي لبني أمية في قلوب أهل الشام محبة خاصة تجسدت في ثورتهم بعد زوال البيت الأموي مباشرة.

وربما كان عذر مروان في نقل العاصمة إلى حِرّان أنها كانت مركز القيسية، وهؤلاء هم دعامته الكبرى في الوصول إلى الخلافة، وبين ظهرانيهم عاش والده ونشأ هو في هذه المنطقة، وكان يشعر أنه بين ذويه، ثم إن هؤلاء هم الذين بايعوه قبل غيرهم، ولا يمكن أن يبقى

عند سواهم[1]وهو من جهة أخرى لا يثق بالجيش الشامي، واليمانيون فيه أكثرية.

إن هذا العذر غير مقبول لأن مروان بما وصف به من بعد نظر، وتفكير طويل، كان يقدر أن يضم تحت جناحه اليمانية بأي أسلوب كان، دون أن يُغْضِب أصدقاءه القدامى من قيس، وبهذا تعود للشعب وحدته.

ولقد جنى مروان ثمرة نقل العاصمة بنفسه إذ اضطره ذلك لخوض معارك متعددة على أرض الشام دامت فترة من الزمن، في وقت كانت فيه خراسان ترتجف بنصر بن سيار، وقد بدت سحائب دخان كثيف تدل على ثورة بركان يمكن أن يجتث الحكم الأموي بكامله[2]، فقد كان انتقال الخلافة من دمشق إلى الجزيرة انقلاباً كبيراً ذا شأن، وانتقال الخلافة كان من منطقة إلى منطقة، ومن جوار إلى جوار، ومن

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] المصدر السابق نفسه.

عصبة إلى عصبة أخرى، وأخيراً من مجتمع إلى مجتمع، وكان للمجتمع القديم أن يدافع عن نفسه وعن حقه المغتصب، فحصلت تلك الهزة العنيفة في تاريخ الأمويين، ولئن كان مروان بن محمد قد تغلب على تلك الهزة وأخضعها بالسنان، فإن التفكك الذي حدث في الدولة الأموية والصدع الذي لم يُرْتَق، ولم يكن للجرح أن يلتئم في عهد مروان إذ لم يُترك متسع من الوقت أمام الحكم الجديد ليوطد أركانه، فالدولة الأموية كانت قد نقضت بن‌ي‌انها بغية أن تبني بنياناً جديداً مكانه، وإذ بالبنيان الجديد الذي لم يستقر بعد يتعرض للعاصفة، فيتساقط كأوراق الخريف**[(638)]**.

3 . فشل مروان بن محمد في تنظيم حكومة مركزية قوية:

لم يستطع مروان بن محمد أن يوجد حكومة مركزية من خلال نظام إداري سياسي يدعم الحكومة في الأقاليم، ويساند الحكومة جيش نظامي قوي، مع مؤسسات أخرى كالشرطة والمخابرات والأمن، مما أدى إلى انتشار الإشاعات والدعايات والتنظيمات السرية التي لم تكن

نشاطاتها كلها تصل إلى سمع الخليفة، فأنتجت في النهاية تلك الثورة العارمة.. أين هذا العهد من عهد معاوية وعبد الملك وضبطهم لأمور الرعية وشدة تيقظهم ومتابعتهم للخصوم في الداخل والخارج ؟! ولذلك لما أحيط بمروان بن محمد اخر ملوك بني أمية قال: يا لهفتاه على دولة ما نصرت، وكف ما ظفرت، ونعمة ما شكرت. فقال له أحد خدامه: من أغفل الصغير حتى يكبر، والقليل حتى يكثر، والخفي حتى يظهر، وأخّر فعل اليوم لغد، حلَّ به أكثر من هذا. فقال مروان: هذا القول أشدُّ عليَّ من فقد الخلافة.[1]

إن تنظيم الحكومة المركزية القوية يساعد على ضبط أمور الدولة ومتابعة أخبار الأقاليم والأمراء والرعية من خلال أجهزتها ومؤسساتها ولجانها، وخصوصاً فيما يتعلق بالأمن وجمع المعلومات، ولذلك لما سئل أحد أمراء بني أمية: ما سبب زوال ملككم؟ قال: قلة التيقّظ وشُغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهمّاتنا، وظلم عمّالنا رعيّتنا ففسدت نياتهم لنا،

[1] البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الرّيان، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م، (266/13).

وحُمل على أهل خراجنا فقلّ دخلنا، وبطل عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعداؤنا فأعانوهم علينا، وقصدنا بُغاتنا فعجزنا عن دفعهم لقلة نصّارنا، وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنّا، فزال ملكنا عنا بنا [1].

والحقيقة أن هذه الرواية جمعت معظم العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الأموية، إلا أن راويها نصر بن مزاحم المنقري شيعي رافضي متروك الحديث[2]، لذلك لابد من التعامل مع هذه الرواية بحذر شديد[3].

4 . احتقاره للخصوم في خراسان:

كان مروان قائداً عسكرياً قبل كل شيء، والطبيعة العسكرية تغلب عليه، وهي طبيعة خاصة من مميزاتها الاستهانة بالأخطار والاستهانة بالخصوم، وهذه النفسية هي التي كلفت مروان نهايته المحتومة، وبالتالي

---

(1) ولاية الشرطة في الإسلام، ص 118؛ المحاسن والمساوئ، ص 155.

(2) ميزان الاعتدال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1382هـ، (4/253 . 254).

(3) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، حيدر آباد الدّكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1331هـ 1912م، (6/157).

نهاية حكم أسرته في المشرق. اطلع مروان على حال خراسان وكيف أن واليه عليها نصر بن سيار يتعرض لخطر شديد، ومع ذلك يكتب لنصر: الحاضر يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول[1]. فكان جواب نصر: الثؤلول قد امتدت أغصانه وعظمت نكايته[2].

لقد بلغ به احتقار الثورة العباسية إلى حدود وصفها بالثؤلول، إن الثقة بالنفس، إذا وصلت إلى حد احتقار العدو، فإنها تكون قاتلة[3]، كان قتيبة بن مسلم قد ألمت به أمور هامة، وأخذ يفكر في فئة خرجت عليه، كيف يقضي عليها، فقيل له: ما يهمك منهم ؟! وجّه إليهم وكيع بن أبي مسعود، فإنه يكفيهم.. ؟ فأبى وقال: لا.. إن وكيعاً رجل به كبر، يحتقر أعداءه، ومن كان هكذا قلَّت مبالاته بعدوه، فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة[4]. وهكذا كان مروان.[5]

---

[1] الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشَّيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1989 م، (459/3).

[2] العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، تحقيق: أحمد أمين، (201/4).

[3] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، ص 152.

[4] المصدر السابق نفسه، ص 153.

[5] المصدر السابق نفسه.

5 . الاستبداد بالرأي:

لما ضعفت المشورة في نهاية عهد بني أمية ضاعت الخلافة، فإنه عندما سئل اخر خلفائهم مروان بن محمد عن ذلك، قال: الاستبداد برأيي لما كثرت كتب نصر بن سيار أن أمده بالأموال والرجال قلت في نفسي: هذا رجل يريد الاستكثار من الأموال بما يظهر فساد الدولة من قبله، وهيهات أن ينتقض عليّ خراسان، فانتقضت دولته من خراسان.[1]

6 . إبعاد الأولياء وتقريب الأعداء:

قال أبو مسلم الخراساني: كان أقوى الأسباب في خروج دولة بني أمية عنهم كونهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم، وأدنوا أعداءهم تألفاً لهم، فلم يصر العدو بالدنو صديقاً وصار الصديق بالبعد عدواً.

---

[1] سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلس الطرطوشي، طبعة الإسكندرية، المطبعة الوطنية، 1289هـ-1872م، ص 95.

إن مروان بن محمد أضاع ثقة أهل الشام في الأمويين وذلك من الأخطاء التي قلبت دولتهم، فبنو أمية أقاموا حكمهم في الشام وعلى أهل الشام، وأهل الشام هم الذين كانوا يمسكون بقواعد الحكم الأموي ويثبتونها. ولقد ناصروا بني أمية في كل المواقع وكانوا السبب في كثير من انتصاراتهم ضد خصومهم، وكانوا وإياهم يداً واحدة على نوائب الدهر، وأقوى أهل الشام قبائل بني كلب التي كانت تقطن هذه المنطقة وتكثر فيها. والحق أن معاوية رضي الله عنه بنى حكمه على كلب، وتزوج منها ـ مع استيعابه الكبير لفقه الموازنة بين القبائل ـ ومروان اعتمد عليها أيضاً، فكسب بها موقعة مرج راهط، واستمر خلفاؤه على صلات حسنة بكلب، وإن كانوا يشجعون قيساً في العراق وخراسان.

والخطأ الأكبر لبني أمية في عصر يزيد بن عبد الملك أنهم قضوا قضاء مبرماً على المهالبة، وهم من اليمن، وأساؤوا لكلب وهي من اليمن أيضاً، فأشعروها أنهم ضدها في الشام أيضاً، وجاء مروان بن محمد فنقل العاصمة إلى حِرّان بالجزيرة بين قيس، ففقد ثقة الشام بعد

أن فقد ثقة كلب؛ وهذا هو الذي أودى به بالرغم من حسن قيادته وحيله الحربية، وقدرته في تسيير الرجال، ولو بقي أهل الشام معه قلباً وقالباً وعلى رأسهم كلب، لقوي بهم ودفع كل المصائب التي جابهته بيسر، ولتمكن من العباسيين الذين أقبلوا عليه من خراسان[1]. وقد أدرك مروان ذلك فقال: انفرجت عني قيس انفراج الرأس، ما تبعني منهم أحد، وذلك أنا وضعنا الأمر في غير موضعه.[2]

7 . لم يلجأ إلى استخدام المال والسياسة في تفتيت الخصوم:

لم يستفد مروان بن محمد من السياسة والمال في تفتيت الخصوم؛ فقد أخطأ حين ولّى ثابت بن نعيم فلسطين؛ لأنه يعرف خطره، ولكن هذا الخطأ يمكن أن يخف كثيراً لو ترك إلى جانب ثابت رجلاً عيناً عليه لمروان من جهة، ومن جهة أخرى كي يحد من قيمة ثابت بين أصحابه، أو يتولى هذا الرجل معظم أعمال الوالي بحيث يكون الوالي مجرد رمز فقط، لأن مروان لم يكن يستطيع عزله في ذلك الوقت حتى لا

(1) الدولة الأموية، للعش، ص 314.

(2) الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الإسلامية، سعدي أبو حبيب، ص 139.

يثور الناس عليه، وأخطأ أيضاً عندما ترك سليمان بن هشام في الرصافة، فلو استبقاه لديه كمستشار مثلاً فترة أطول، ولم يدعه يذهب إلى الرصافة حيث كان والده هشام قد اتخذها مقراً له، لأمكن مروان أن يملك رأس الفئة المناوئة له.. ولو فعل لتجنَّب فتناً داخلية شغلته عن خطر داهم تدفق من خراسان.[1]

أخطأ كذلك عندما جنَّد جيشاً مؤلفاً من عشرة الاف مقاتل، ووجَّههم للعراق إلى قتال الخوارج، رغم معرفته بأن هذا الجيش قد تمرد عليه قبلاً في دير أيوب... حتى إذا تحرك هذا الجيش نحو العراق مر بالرصافة، فدعا سليمان بن هشام للتمرد، فاستجاب، وخلع مروان سنة 127 هـ، ويتجلى هذا الخطأ حين نعرف أن فترة قصيرة جداً كانت تفصل بين تمرد هذا الجيش وتوجيهه إلى العراق، وأن هذا الجيش قد أرسل إلى العراق دون قيادة تميل إلى مروان، فهل يعقل أن ينقلب متمردون مسلحون من أعداء للخليفة إلى مدافعين عنه بين ليلة وضحاها؟! بل ماذا ينتظر من هذا الجيش غير التمرد مجدداً كما تمرد

---

[1] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، سعدي أبو حبيب، ص 156.

من قبل.[1]

ولقد سبق لعبد الملك بن مروان أن واجه أخطاراً أكثر مما جابهت مروان بن محمد، فالروم من جهة، وعبد الله بن الزبير، والخوارج، وأهل قرقيسية والقيسية من جهة أخرى، وحركة التوابين، ورجل من البيت الأموي يحتل دمشق ويعلن عزل عبد الملك ويتمرد عليه، وهو عمرو بن سعيد بن العاص، فاستخدم عبد الملك المال والسياسة حتى لا يتحركوا ضده في وقت واحد. وقد قام عبد الملك بالتالي: فالروم لهم الجزية يؤديها عبد الملك، وعمرو بن سعيد له العودة السريعة إلى دمشق، والقتل بيد عبد الملك نفسه، وأمير قرقيسية له الصلح والمال الوفير، وأما الخوارج وابن الزبير فلهم الانتظار حتى ينتهي القتال الدائر بينهم، حتى إذا انتهى بظفر فريق بعد إنهاك قوته انقض عليه عبد الملك بجيش مستريح مستعد للقتال، كان عبد الملك يعرض الأمان لأعدائه ويستميل قوادهم بشتى الوسائل، كل هذه المواقف تدل على مدى مرونة شخصية عبد الملك ودهائه، وحسن سياسته ومراعاته

---

[1] المصدر السابق نفسه.

للظروف، إذ لكل داء دواء، أين سياسة عبد الملك المرنة في مجابهة الأعداء من سياسة مروان؟!

لقد كان حرياً بمروان أن يحتذي خطوات عبد الملك، ولو فعل لفتت خصومه واحداً بعد الاخر، ولكنه لم يفعل، فاتحد هؤلاء، وتكاتفوا ووضعوا أمامهم هدفاً واحداً هو إبادة مروان والدولة الأموية، وقد وفقوا وحققوا الهدف، وعذر مروان فيما نرى يعود إلى طبيعته، كقائد عسكري أكثر من سياسي يرأس دولة تعج بالفتن والأعداء.

في كل الأخطاء التي ذكرناها نلمح شخصية مروان المعتدة بذاتها، وبقدراتها، المستهينة بكل عدو، المستهينة بكل خطر، وكأن مروان يقول في نفسه: ماذا يصنع ثابت بن نعيم؟ وماذا يفعل سليمان بن هشام؟... أنا لهما بالمرصاد، وهما دوني بكثير، حركة واحدة مني تقضي عليهما، وماذا يصنع عشرة آلاف جندي كانوا تمردوا قبلاً إذا أرسلوا إلى حرب الخوارج ؟ تلك هي نفسية مستعلية عنيفة[1]، عيب مروان أنه يبدأ عدوه بالسيف، فإذا خرج متمرد في مكان جرد له

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص 158.

جيشاً ربما قاده بنفسه، وكثيراً ما فعل، مع أن هذا المتمرد في غالب الأحيان ليس بحاجة إلى السيف، بل هو بحاجة إلى المال يقبضه، أو ولاية يتولاها، أو وظيفة يشغلها، وما أرخص هذه الأشياء مهما كثرت، وما أغلى السيف إذا جُرّد، ولو أعيد إلى غمده بعد قليل[1].

وقد رأينا كيف فعل معاوية مع خصومه في بذل الأموال وحسن السياسة لكسبهم أو تحييدهم أو دفع أخطارهم عن دولته[2]، وكان شعاره: لا أضع لساني حيث يكفيني مالي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، فإذا لم أجد من السيف بدّاً ركبته[3].

عيب مروان كان في طبيعته كقائد حربي من الطراز الأول، ولعله هنا يكمن عذره، رغم أن هذا العيب قد هدَّ أركان الدولة أخيراً، ولم تعدِّله العبقرية العسكرية الفذة.[4]

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] المصدر السابق نفسه.

[3] المصدر السابق نفسه.

[4] المصدر السابق نفسه.

8 . شؤم بدعة الجهمية على الدولة الأموية:

إن شؤم البدعة خطر على الأمة والشعوب والدول والأفراد والجماعات، ومن يدرس تاريخ هذه الأمة والاتجاهات البدعية التي ظهرت يجد أثرها السلبي على الدولة الإسلامية كلها، يقول ابن تيمية عن أسباب سقوط الدولة الأموية: إن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل، وغيره من الأسباب التي أوجبت إدبارها، وفي آخر دولتهم ظهر الجهم بن صفوان بخراسان[1].

وقال: وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي اخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسول صلى الله عليه وسلم انتقم الله ممن

---

[1] أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د. ناصر عبد الله علي القفاري، دار الرضا بمصر، (1432/3).

خالف الرسل، وانتصر لهم.[1]

وهذا التفسير الإسلامي لأحداث التاريخ الإسلامي يخالف ما درج عليه جملة من المؤرخين الذي لا يفسرون أحداث التاريخ إلا بأسباب مادية بحتة، وهو من العمل الذي لا يفقهه إلا أهل الإيمان. [2]

وقد وصف الدكتور يوسف العش المجتمع الجديد الذي نقل إليه مروان بن محمد العاصمة، فقال:... ولم يقتصر التغير على إحداث هذا المجتمع وعلى تكوينه تكويناً جديداً، بل اتخذ هذا المجتمع كياناً خاصاً وأفكاراً جديدة، فأصبح يقول بمذهب الجعد بن درهم الذي نسب إليه مروان وتأدب على يديه.[3]

9 . انحلال الضبط:

---

[1] الفتاوى، ابن تيمية، (96/13).

[2] المصدر السابق نفسه (99/13).

[3] الدولة الأموية، يوسف العش، ص 335.

انهار الضبط في الجيش الأموي وفي الدولة، فلا الجنود ينفّذون أوامر القائد، ولا الناس يخضعون للسلطة، ولعل من أسباب انحلال الضبط وانهياره حرب الاستنزاف بين جيش الدولة وبين أعداء الدولة التي طالت كثيراً، فأصبحت الحرب هي القاعدة والسلام هو الاستثناء، وكلما طالت الحرب زاد التذمر وضعف الضبط، ولعل من أسبابه الدعوة السّرية للعباسيين التي استمالت إلى جانبها كثيراً من الناس، وأصبح معتنقو هذه الدعوة رَتلاً خامساً بين صفوف جيش الحكومة ومكاتبها وبين أفراد الشعب، يثيرون الإشاعات، ويثبِّطون العزائم، وينشرون الفوضى والارتباك، ومن مظاهره ما حدث من اقتتال بين جيش الدولة والخارجين عليها في الحجاز واليمن، مما أدى إلى ارتباك مواسم الحج ارتباكاً شديداً، وأما في خُراسان والمشرق الإسلامي، فقد كانت سلطة الدولة في إجازة طويلة، وكلّ هذا الانحلال أدى إلى تردّي معنويات جيش الدولة، وإلى انهيار الضبط فيه.

وتجلى هذا الانحلال في الضبط، ما ظهر في معركة الزّاب الحاسمة،

فما أصدر مروان أمراً إلى قوّاته المحاربة إلا ولم ينُفّذ أمره باستهتار عجيب، وبلغ العصيان حدّاً في تلك المعركة الحاسمة لم يبلغه في معركة أخرى، فالقبائل رفضت تنفيذ أوامر مروان دون استثناء، حتى الرجل الذي كان على شرطته، عصى أوامره عصيانا فاضحاً، والمفروض أنّ مثل هذا الرجل من أقرب المقربين إلى الخليفة، ومن أخلص المخلصين له، ولكنه آثر العافية على الخطر، كأنه كان واثقاً بأن الهزيمة النكراء ستحل بمروان وشيكاً، والجيش الذي يصاب بانحلال الضبط وانهيار المعنويات لا ينتصر أبداً، والدولة التي تفقد هيبتها لا يمكن أن تبقى أبداً.[1]

10. تجاوز الاحتياط:

حشد مروان بن محمد جيشه في الزاب لخوض معركته الحاسمة، وكان من حقِّه وواجبه أن يحشد كلّ القادرين على حمل السلاح من

---

[1] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، محمود شيت خطاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م، ص 484.

أنصاره لخوض تلك المعركة الحاسمة، ولكنه كان عليه أن يفكر في معارك أخرى، يقاوم بها بالعمق أنصار العباسيين، فإذا انهزم في معركة الزّاب، فينبغي أن يخوض معارك أخرى في حلب ودمشق وفلسطين وفي مصر، ويفكر بإعداد قوّات احتياطية، تدافع عن الدولة في معارك متعاقبة، وألاّ ينتهي في معركة واحدة كما حدث، ثم يصبح بعد هزيمته شريداً طريداً، ليست لديه قوات احتياطية تدافع عنه وعن الدولة كما ينبغي، والظاهر أنّ مروان لم يفكر بإعداد قوّات احتياطية، تقاتل في حالة هزيمته في لقائه الأول والأخير، ولهذا كانت معركة الزاب هي معركته الأولى والأخيرة، ثم انتهى أمره وأمر الدولة بعد الهزيمة، وأصبح همّه الحفاظ على حياته كأيّ إنسان، يهرب من بلد إلى اخر، وقوّات العباسيين تطارده إلى أن استطاعت قتله في الصعيد من أرض مصر، فانتهى خليفة، وانتهت دولة الأمويين. إنّ إهمال إعداد قوات احتياطية خطأ فاحش لا يُغتفر لمروان، دفع ثمنه حياته ومصير دولته.[1]

---

[1] المصدر السابق نفسه، ص 484، 485.

11. ضعف الثقة بينه وبين رجاله وبغض الناس له:

لم يكن مروان بن محمد يتبادل الثقة الكاملة بينه وبين رجاله، ولا المحبة المتبادلة، لأنه كان (ظالماً)[1] (صارماً)[2]، وكان يغري بين القبائل ويُغضب بين العشائر، واصطفى قيس عيلان وانحرف عن اليمن وباداها العداوة، فصارت عليه إلباً، وعليه حرباً[3]، لهذا تخلى عنه رجاله في أحرج الأوقات والظروف: في معركة الزّاب الحاسمة، ولم يقاتل ولاته على المدن والأمصار كما ينبغي، بل استسلموا دون مقاومة تذكر لجيش بني العباس[4] وربما كان هذا سبب الاختراق الكبير للدعوة العباسية للجيش الأموي من خلال خلايا التنظيم العباسي.

---

(1) العبر، الذهبي، (178/1).

(2) البداية والنهاية، ابن كثير؛ نقلاً عن قادة الفتح الإسلامي، ص 490.

(3) التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981م، مكتبة العصرية، بغداد، 1938م، ص 328؛ البداية والنهاية، ابن كثير، (490/13).

(4) قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، محمود شيت خطاب، ص 491.

لقد كان الناس يهابون مروان ويخافونه خوفاً شديداً حين كان في السلطة قوياً، لأنه كان ظالماً لا يبالي بالقتل والصَّلْب، حتى لقد صَلَب الموتى والقتلى أيضاً، كما جرى في معركة حمص عندما نكث أهلها، فقد صلب خمسمئة من القتلى حول المدينة، وهدم قسماً من سور المدينة[1]، انتقاماً من أهلها، وبالغ في القتل مما جعل القلوب التي حوله تتغير عليه سراً، وتظهر له الولاء علناً.

أما الذين كانوا مع الأعداء فقد قاتلوه بعنف وشدَّة، لأنه صدع قلوبهم بالظلم والتعصّب والانتقام، ولكن حين أصبح ضعيفاً، وبدت بوادر انهيار سلطته، خلع الناس عنهم لباس الخوف، وكشفوا له ولأعوانه نياتهم، فهؤلاء الذين بقوا حول مروان مضطرين اضطراراً، ولم يستطيعوا التخلّي عنه نظراً لظروفهم الخاصة أو لأسباب قاهرة، وهم أهل الشام، أقرب المقربين إلى بني أمية وحماة دولتهم وقاعدتهم الأمينة، بذلوا قصارى جهدهم للتخلص من مروان، فقدم جنودهم إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وكان في جيش مروان؛ فاتصلوا به

[1] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ص 491.

سراً وحسّنوا له خلع مروان، وشجعوه عليه، وقالوا له: أنت أرضى عند الناس من مروان وأولى بالخلافة. فأجابهم إلى ذلك، فسار بإخوانه ومواليه معهم فعسكر بقنّسرين، وكاتب أهل الشام، فأتوه من كلّ وجه.[1]

وبلغت درجة بغض مروان من أبناء شعبه، أنّ قسماً من بني أمية لجؤوا إلى أعدائه وقاتلوه إلى جانبهم، حتى إن قسماً منهم لم يتورّع عن اللجوء للخوارج والصَّلاة خلفهم والقتال إلى جانبهم، لا محبة بهم بل كرهاً لمروان، والقائد الذي لا يحبّه رجاله ولا يثقون به لا يمكن أن ينتصر أبداً، ولعلّ مروان وما حاق به يكون عبرة للمعتبرين.[2]

12. خذلان أهل الشام لمروان في معركة الزاب:

لو أن أهل الشام وقفوا كلهم متحدين متكاتفين إلى جانب مروان لاستطاع الانتصار على العباسيين بالرغم من المناداة بأبي العباس خليفة في الكوفة، ذلك أن الوضع كان لا يزال حرجاً بالنسبة إليهم،

[1] الكامل في التاريخ، ابن الأثير؛ نقلاً عن قادة الفتح الإسلامي، ص 491.

[2] المصدر السابق نفسه.

وكان خذلان أهل الشام ولا سيما القبائل اليمانية والقضاعية لمروان في معركة الزاب كان عاملاً هاماً من العوامل التي أدّت إلى هزيمته.

ثالث عشر: الدعوة العباسية:

أخذت الدعوة العباسية بأسباب النجاح المادية والمعنوية، من قيادة حكيمة، ووضوح المنهج، وإعداد الأفراد ومحاربة أسباب الفرقة، والأخذ بأصول الاجتماع والاتحاد والوحدة، والتفرغ للمشروع العباسي، وتقسيم الأدوار، والتخطيط السليم، والإدارة الناجحة، والتنظيم المحكم، والدعم الاقتصادي، والدعاية الإعلامية، والحيطة والحذر من الأعداء... وغير ذلك من الأسباب، وظهرت هذه الدعوة في الوقت المناسب في وقت كان يجري فيه تفاعل في الدولة الأموية، تفاعل شديد قلبها رأساً على عقب، فأخذتها الثورة العباسية على حين غرّة، فلم تصمد أمام المفاجأة في ساعة كانت أحرج ساعة في تاريخها، فسقطت سقوطها المريع وكان يمكن أن تستمر دولة بني أمية لولا وجود الدعوة العباسية التي كانت تخطط للوصول إلى الحكم، واستغلت هذه الظروف للإطاحة ببني أمية.[1]

[1] الدولة الأموية، يوسف العش، ص 337.

الخاتمة:

هذه هي أهم أسباب سقوط الدولة الأموية، وهي متداخلة ومتشابكة يؤثر كل منها في الآخر تأثيراً عكسياً؛ فالسبب السياسي يؤثر في العامل الاقتصادي، ويتأثر به، وهكذا.

ودراسة أسباب سقوط الدول وعوامل بنائها من الأمور المهمة التي تحتاجها الأمة في مشروعها الحضاري المنتظر لقيادة الإنسانية بالمنهج الرباني، وتحقيق أستاذية العالم لهذه الأمة المجيدة.

وبعد؛ فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتيب: (أسباب سقوط الدولة الأموية)، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضى، وله الحمد بعد الرضى، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتيب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه

في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتيب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ **[الحشر: 10]**.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، دار صادر، بيروت.
2. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، دار العاصمة، السعودية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل.
3. ابن تيمية، رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
4. أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشَّيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1408 هـ - 1989 م.
5. أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار الرّيان، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.
6. أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلس الطرطوشي، سراج الملوك، طبعة الإسكندرية، المطبعة الوطنية، 1289هـ-1872م.
7. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ 1991م.

8. أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، حيدر آباد الدَّكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1331هـ 1912م.

9. أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين.

10. الآلوسي، تفسير الآلوسي، المسمَّى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثالي، إدارة الطباعة بالهند، بدون ذكر سنة الطبع.

11. د. أحمد عبد الله مفتاح، نظام الحكم في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

12. د. حسين محمد سليمان، رجال الإدارة في الدولة الإسلامية، دار الإصلاح، السعودية.

13. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار الاتحاد التعاوني للطباعة بمصر، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1996 م.

14. د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار الاتحاد التعاوني للطباعة بمصر، الطبعة الثالثة، 1417 هـ - 1996 م.

15. د. عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية، مؤسسة الرسالة، الطبعة

الأولى، 1413هـ - 1993م.

16. د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخرعان، أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ.

17. د. علي حبيبة، دولة الأمويين، الناشر: مكتبة الشباب بمصر.

18. د. عماد الدين خليل، في التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، 1418هـ 1998م.

19. د. كمال السعدي حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية، مكتبة مدبولي، مصر، طبعة 2002م.

20. د. محمد بطاينة، دار الفرقان، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م.

21. د. ناصر عبد الله علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، دار الرضا بمصر.

22. د. نزار محمد قادر النعيمي، الجيش وتأثيراته في سياسة الدولة الأموية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، الطبعة الثانية، 1424هـ –

2004م.

23. د. هاشم محمد علي المشهداني، العصبية في ضوء الإسلام، د. هاشم محمد علي المشهداني، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م، دار الثقافة بالدوحة، قطر.

24. الرازي، تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

25. سعدي أبو جيب، مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، 1402هـ - 1982م.

26. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402هـ.

27. عبد الحليم عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، دار الصحوة، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م.

28. علي محمد الصَّلاَّبي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، مؤسسة أم القرى، طبعة عام 1426هـ - 2005م.

29. فاروق عمر فوزي، الثورة العباسية، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، طبعة 2001م.

30. محمد أحمد السيد، قصائد الزهد، مكتبة السوادي، الطبعة الثالثة، 1411هـ - 1991م.

31. محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

32. نعمان السامرّائي، في التفسير الإسلامي للتاريخ، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1985م.

المحتويات

مقدمة:...2

أولاً: الثورة المضادة على حركة عمر بن عبد العزيز الإصلاحية: 7

ثانياً: الظلم: 9

ثالثاً: الترف والانغماس في الشهوات:...................... 14

رابعاً: تعطيل خيار الشورى:............................ 16

خامساً: نظام ولاية العهد: 17

سادساً: الثورات ضد النظام الأموي:.................... 21

1 ـ ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما:................. 21

2 ـ ثورة زيد بن علي بن الحسين:........................ 22

3 ـ الخوارج:... 23

سابعاً: العصبية:...................................... 25

ثامناً: الموالي:....................................... 30

1 ـ الطبقة الأولى:.................................... 30

2 ـ الطبقة الثانية:................................... 33

3 ـ الطبقة الثالثة:................................... 34

تاسعاً: فشل الأمويين في إيجاد تيار حضاري:.............. 37

عاشراً: النزاع الداخلي بين الأسرة الحاكمة:.............. 40

حادي عشر: فشل الأمويين في تكوين جيش نظامي مرتبط بالدولة، ومَوالٍ لها:45

ثاني عشر: فشل مروان بن محمد في إنقاذ الدولة الأموية:.............. 51

1 ـ عدم شرعية مروان بن محمد:........................ 51

2 . نقل عاصمة الدولة إلى حِرّان:........................ 52
3 . فشل مروان بن محمد في تنظيم حكومة مركزية قوية: 55
4 . احتقاره للخصوم في خراسان:.......................... 57
5 . الاستبداد بالرأي:................................. 59
6 . إبعاد الأولياء وتقريب الأعداء:...................... 59
7 . لم يلجأ إلى استخدام المال والسياسة في تفتيت الخصوم:........ 61
8 . شؤم بدعة الجهمية على الدولة الأموية:................ 66
9 . انحلال الضبط:.................................. 67
10 . تجاوز الاحتياط:................................. 69
11 . ضعف الثقة بينه وبين رجاله وبغض الناس له:........ 71
12 . خذلان أهل الشام لمروان في معركة الزاب:............. 73
ثالث عشر: الدعوة العباسية:................................ 74
الخاتمة:.. 75
المصادر والمراجع:... 77
المحتويات... 82
كتب صدرت للمؤلف.. 84
المؤلف في سطور 88

كتب صدرت للمؤلف

1. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
7. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12. الوسطية في القرآن الكريم.
13. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
14. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
15. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
16. خلافة عبد الله بن الزبير.
17. عصر الدولة الزنكية.
18. عماد الدين زنكي.
19. نور الدين زنكي.

20.دولة السلاجقة.

21.الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22.الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23.الشيخ عمر المختار.

24.عبد الملك بن مروان وبنوه.

25.فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26.حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27.وسطية القرآن الكريم في العقائد.

28.فتنة مقتل عثمان.

29.السلطان عبد الحميد الثاني.

30.دولة المرابطين.

31.دولة الموحدين.

32.عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

33.الدولة الفاطمية.

34.حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

35.صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

36.استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول (ﷺ)، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

37.الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

38.الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

39.المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

40.سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

41.الشورى في الإسلام.

42.الإيمان بالله جل جلاله.

43.الإيمان باليوم الاخر.

44.الإيمان بالقدر.

45.الإيمان بالرسل والرسالات.

46.الإيمان بالملائكة.

47.الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

48.فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح.

49.المعجزة الخالدة.

50.الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها.

51.البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

52.التداول على السلطة التنفيذية.

53.الشورى فريضة إسلامية.

54.الحريات من القرآن الكريم، حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

55.العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

56.المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

57.العدل في التصور الإسلامي.

58.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

59.الأمير عبد القادر الجزائري.

60.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

61.سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

62.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

63.أعلام التصوف السُني «ثمانية أجزاء».

64.المشروع الوطني للسلام والمصالحة

65.الجمهورية الطرابلسية (1918 . 1922) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر

66.الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

67.المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . الحقيقة الكاملة .

68.نوح عليه السلام والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

69.إبراهيمُ خليل الله عليه السّلام "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".

المؤلف في سطور



د. علي محمَّد محَّمد الصَّلاَّبي

مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ/ 1963م
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم والفقه والتاريخ والفكر الإسلامي.

. زادت مؤلفات الدكتور الصلابي عن ستين مؤلفًا أبرزها:

- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث.
- سير الخلفاء الراشدين.
- الدولة الحديثة المسلمة.
- الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط.
- فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح.

- وسطية القرآن الكريم في العقائد.
- صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي.
- تاريخ كفاح الشعب الجزائري.
- العدالة والمصالحة الوطنية.
- الإباضية. مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
- المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة.
- نوح عليه السلام والطوفان العظيم ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
- قصة بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام.
- إبراهيمُ خليل الله عليه السّلام "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة"